عندما تفتح الأم قلبها

قصة مختصرة حول حياة الشهيدة زينب كمايي، مروية عن لسان والدتها.

تفتح والدة الشهيدة زينب قلبها بكل ما يعتصره من ألم وحزن عميقين لم يُزلْهما تقادم الزمان، فتتحدّث عن ابنتها التي عايشتها منذ الصغر؛ وهي تراقب كيف تنمو وينمو فيها سرّ لم يدم طويلًا، حتّى انكشف ولكل من حولها، لا بل أصبح نورًا تستضيء به قلوب العاشقين.

ولدت الشهيدة ميترا (زينب) في منطقة آبادان (مدينة تقع في جنوب إيران) سنة 1968 م، اختارت لها جدتها اسم ميترا (وهو اسم إيراني)، لكنّها بعد أن كبرت اعترضت على هذا الإسم، وكانت تقول لجدتها عدّة مرات:"ماذا ستجيبين في ذلك العالم (يوم القيامة) لو سئلت عن الاسم الذي اخترته لي، أنا أحب أن يكون اسمي زينب بدل اسم ميترا."

وفي أحد الأيام دعت صديقاتها على الإفطار وأخبرتهن عن اسمها الجديد.

تعرضت ابنتي في طفولتها إلى وعكتين صحيّتين شديدتين، تعالجت خلالهما في المشفى، لكن الله منحني إياها من جديد، من بين كل أولادي (3 ذكور، و4 بنات) كانت الشهيدة زينب أكثرهم ترتيبًا وتنظيمًا، ولم تعترض يومًا على شيء مطلقًا. كانت تشبهني أكثر من إخوتها وكانت أقربهم إليّ.

لم تكن تهتم باللباس والطعام ولا باللعب بقدر اهتمامها بالصلاة والقرآن والدعاء. كانت تصوم معظم أوقاتها بالرغم من ضعف جسدها، حتى في أيّام الحر الشديد والجو الرطب لمنطقة آبادان. وفي السنة التي تكلّفت فيها صامت عشرة أيام قبل شهر رمضان المبارك.

بعد الثورة وعلى ضوء رسالة الإمام الخميني قدس سرّه أصبحت تصوم كل اثنين وخميس.

الشهيدة زينب كانت تقول: "**يجب علينا أن نتعرّف على ديننا حتى ندافع عنه**"، كانت مؤمنة تهتم بالدرس. التحقت بصفوف تعليم القرآن الكريم إلى جانب اهتمامها بدراستها الابتدائية، وبعد الالتحاق بهذه الدروس أصبح لديها علاقة قوية بالحجاب، حتى أنّها ارتدت الحجاب في الصف الرابع الابتدائي، غير مبالية باستهزاء زميلاتها في المدرسة بذلك.

كنا لا نزال في خضم الثورة حيث اندلعت الحرب فجأة فوق رؤوسنا الناس بدأت تغادر المدينة، لكن أولادي رغبوا البقاء فيها، والشهيدة زينب كذلك، فهي كانت تحب مدينة آبادان. ابنتاي الكبيرتان ذهبتا للمساعدة في المشفى (التابع للحرس الثوري) أما زينب بسبب صغر سنها وضعف بُنيتها التحقت بمجتمع المعلمين وكانت تشاركهم بالأنشطة الثقافية.

عندما تفاقمت الأحداث أصدر إمام البلدة قرارًا بإخلاء المدينة. ابنتاي بقيتا لتقديم المساعدة في الحرس والمشفى، أما الشهيدة زينب رضيت بالذهاب معي إلى أصفهان بعد أن قلت لها إني محتاجة إليها. وفي أصفهان التحقت بمدرسة نجمة الارشاد.

كان للشهيدة زينب علاقة قوية مع الشهداء، تشارك دائمًا في تشييعهم، تأخذ حفنة من تراب قبر الشهيد للتبرك (كانت الشهيدة تحتفظ بين أغراضها بسبعة أكواز من الصنوبر، وسبعة أكوام من تراب الشهداء).

في يوم من الأيام كنا ذاهبتين إلى روضة الشهداء، أخذت بيدي إلى قبر الشهيدة زهراء بنيانيان (من شهداء الثورة)، وقالت لي: انظري يا أمي ليس الرجال من يستشهدون فقط، بل النساء يمكن أن ينلن شرف الشهادة.

بعد مدة انتقلنا إلى مدينة شاهنشهر حيث التحقت زينب بالثانوية وقررت أن تدرس العلوم الإنسانية ومن ثم تذهب فيما بعد إلى قم لدراسة العلوم الحوزوية. في هذا الوقت بدأت تشارك بأنشطة وفعاليات ثقافية، مع الهيئات النسائية والحرس الثوري.

لم يكن لدينا في فصل الشتاء وسيلة تدفئة جيدة، ولم نكن نملك مالًا لتأمين ذلك، كنا ننام جميعًا في غرفة واحدة حيث يوجد سجادة.

في إحدى ليالي البرد القارس، استيقظت فلم أر الشهيدة زينب في مكان نومها. قمت بهدوء، وإذ بي أراها قائمة تصلي صلاة الليل في غرفة أخرى. عندما رأتني، انزعجت لأنها لا تحب أن يراها أحد وهي تصلي صلاة الليل. أنا لم أر في حياتي أحدًا يستلذ بالصلاة مثلما كانت الشهيدة زينب.

أثناء صلاتها في إحدى اللّيالي، سجدت سجدة طويلة وبكت بشدة. رفعتها وقلت لها:"ما الذي يزعجك؟؟ لا تبكي هكذا!!"

بتلك العيون السوداء الجميلة التي احترقت من شدة البكاء، أجابت:"إني يا أمي أبكي من أجل الإمام الخميني، الإمام وحيد وسوف تنتظره صعوبات شديدة، والجمهورية تعاني كثيرًا بسبب الحرب والإمام حزين بسبب هذه الظروف".

وضعت الشهيدة زينب في دفتر خاص جدولًا للمراقبة الذاتيّة تتضمن عدة موارد سمّته "**سبيل التحليق**"، كانت تحاسب نفسها من خلاله بشكل يومي.

تتابع الوالدة قائلة: لقد أثار نشاط الشهيدة زينب الديني المدافع عن الثورة غضب منافقي خلق (جماعة معادية للثورة الإسلامية)، قرأت الشهيدة كتبا للشهيد مطهري (أحد علماء الثورة ومنظريها) وكانت تشارك في جلسات عمومية وعلمية لمناقشة وكشف خزي جماعة منافي خلق.

كانت الشهيدة زينب معتادة وبشكل يومي أن تذهب بعد المدرسة مباشرة للصلاة في المسجد.

في العام 1982 (كان عمر الشهيدة 14 عاما) وتحديدًا اليوم الثاني للسنة الإيرانية الجديدة، خرجت زينب من البيت ولم تعد.

ذهبت إلى إمام صلاة الجمعة الشيخ حسيني الّذي كنت أسمع عنه منها. كنت أظن أن معرفتها به تقتصر على صلاة الجمعة في المسجد مثل باقي أفراد المدينة، تفاجأت عندما عرفت أنها كانت تشارك معه ومع زوجته في نشاطات ثقافية وتربوية.

عندما رأيت إمام الجمعة عرّفته بنفسي، فعاملني باحترام شديد. بدأ يتحدّث عن الشهيدة زينب لدرجة لو لم أكن والدتها لظننت أنّه يتكلّم عن إمرأة بعمر الأربعين عاما وليس عن فتاة بعمر الأربعة عشر عامًا!! ثم قال: إنّ لزينب شأنٌ عظيم حتى أني أقسم بها!". بعد هذا الكلام شرعت بالبكاء وأنا أقول إلى أي مقام وصلت ابنتي حتى يقسم بها إمام الجمعة.

حلّت الليلة الثانية والسكون ما زال يخيّم في أرجاء البيت، بقيت مستيقظة هذه الليلة حتى الصباح، لقد مرّ شريط حياتي أمام عينيّ، كنت أريد أن أبقى وحدي فقط أنا والله.

وفي اليوم الثالث تم العثور على الشهيدة زينب مقتولة بعباءتها على يد منافقي خلق الذين لم يتحملوا وجودها. وقد صادف يوم العثور على جثمانها عودة الأجساد الطاهرة ل 160 شهيدًا من شهداء عمليات الفتح المبين، فشُيّعت معهم ودفنت في روضة شهداء مدينة أصفهان.

بعد الدفن تعجّبت عندما رأيت أنّ الشهيدة زينب قد دفنت تحت شجرة الصنوبر التي كانت تجمع بعضًا من أكوازها.

رحلَت وابتدأ سير العاشقين:

كانت الشهيدة زينب قد كتبت وصيتين أو ثلاثة، وهذه هي الوصية التي كتبتها قبل 18 يومًا من استشهادها:

"بسم الله الرحمان الرحيم

نعوذ بالله أن يسمح لقناع النفاق والحياد بأن يقع على وجوهنا ونترك حرب الحسين وحده في هذا الزمن. هؤلاء أسوء من اليزيديين ومكانهم هو أسفل السافلين وفقط.

ماذا وجد من فقدك وما الّذي فقد من وجدك (من مناجاة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة)، لأنّه لا بدّ لكل مسلم من وصية قررت كتابة هذا النص كوصية لي وأكتب كلماتي لعائلتي وأصدقائي ولكل عشّاق الشهادة.

يا عشّاق الشهادة أحثّكم على متابعة هذا الطريق الذي سطّره الشهداء بالدّم. لا تبعدوا أبدًا عن الإمام، واستمعوا دائما إلى ما يقوله الولي الفقيه واعملوا به. لأنّه لا بدّ لكل إنسان أن يرجع إلى الله، كونوا ذاكرين للموت دائمًا، حتّى لا يطغى عليكم الكبر والغرور والخطايا الأخرى.

لا تنسوا صلواتكم، وادعوا دائما بحفظ إمامنا المهدي عجل الله فرجه، وسلامته وكونوا من المنتظرين لظهوره.

أمي الحبيبة أنت التي من حين ولادتي كنت تعتنين بي.. افرحي عندما تقرأين وصيتي وأخرجي مرفوعة الرأس من هذا الامتحان الإلهي ولا تيأسي ولا تحزني فأنا سأنعم في محضر ربي وأي شيء سيكون أجمل من هذا، وهو وصول العطشان إلى الماء والعاشق إلى المعشوق.

أمي الحبيبة أعلم أنك قد تعبت كثيرًا وضحّيت كثيرًا من أجل ايصالي لهذه المرحلة من حياتي، ولذلك أقسم عليك بمعاناة السيدة زينب عليها السلام أن تسامحيني وتدعي لي بالخير.

وأخيرًا أطلب منكم جميعًا إخوتي وأخواتي الأعزاء ومن كل أصدقائي أن تسامحوني وإذا كنت مصدر إزعاج لكم يوما فاعذروني..

اقسم عليكم بدم الحسين عليه السلام الملتهب أن لا تنسوا الدعاء لإمامنا عجل الله تعالى فرجه .

أختكم الصغيرة زينب كمايي

والسلام

نموذج عن جدول مراقبات الشهيدة الذي سمّته "**سبيل التحليق**":

العمل	الإثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الأحد
صلاة أول الوقت							
البقاء على طهارة							
الاقلال من الطعام							
البكاء على الامام الحسين							
إقامة النوافل							
ذكر الموت							
النظر إلى الآخرين من دون سبب							
ضحك يظهر الأسنان							
الإحساس بالحقارة والدونية							
الرياضة الصباحية							
حفظ آيات من القرآن							
قراءة خمسون آية من القرآن الكريم							
الاحساس أنّك خادم للجميع							
المطالعة الحرّة							
المصافحة بأفضل طريقة على الآخرين							
التحكّم بالكلام							
البقاء مستيقظة بعد صلاة الفجر							
زيادة الإيمان							
صلاة الجماعة							
الكلام بصوت عال							
عدم طاعة الأوامر							
الإيثار والمحبّة							
النهي عن المنكر							